الحجاج اللّغوي ودوره في تنمية الكفاءة التواصليّة لدى متعلّمي اللّغة العربيّة (نصّ فضل العلم للسنة الرابعة متوسّط عيّنة).

Linguistic pilgrims and their role in developing communicative competence among learners of the Arabic language (Text of Fadl al-Ilm for the fourth year of Middle school).

طالبة الدكتوراه/ رشيدة بسر
الأستاذ الدكتور/ فتحي بحة

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)
مخبر انتماء طالب الدكتوراه: بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.
besser-rachida@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2022/04/01 تاريخ القبول: 2022/07/31 تاريخ النشر: 2023/03/15

ملخص:

تناولت هذه الورقة البحثيّة دور الحجاج اللغوي في تنمية الكفاءة التواصليّة لدى متعلمي اللغة العربية، للوقوف على مدى قدرة هاته الآليات الحجاجيّة في التأثير وإقناع المتلقي، وحاول البحث التركيز على الوظيفة الحجاجيّة عند ديكرو؛ فالجملة بإمكانها أن تشمل صيغا حجاجيّة لأقوالنا إضافة إلى محتواها الإخباري والتوجيهي، فهاته الصيغ تنقسم إلى: عوامل وروابط حجاجيّة ولكليهما دور أساسي في تنمية كفاءة المتعلم التي تتعدى كفاءته اللغويّة القاصرة فقط على الجمل النحويّةّ والصوتيّة فحسب دون توظيفها في سياقها الاستعمالي المناسب، ومن ثمَّ امتلاك هذا الفرد مجموعة من القدرات التي تسمح له بتكوين علاقات تواصليّة مع الآخرين، ولو في موقف غير متوقع، وبذلك يتدرب من خلال تعلّمه واستخداماته للحجاج اللّغوي التحكم في قدراته ومعارفه التي تواجهه، ومنه يمتلك المرونة والمهارة في الإقناع والتأثير في الغير ليحقق نجاحا في العملية التواصليّة موظفا السلالم الحجاجيّة .

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الكفاءة التواصليّة؛ السلالم الحجاجيّة؛ الأدوات اللغويّة؛ المتعلّم.

Abstract:

These research papers deal with the role of linguistic pilgrims in communicative competence of Arabic language learners, to developing the determine the extent of the ability of these argumentative mechanisms to influence and persuade the recipient, and the research tried to focus on the

argumentative function of Decr.

The sentence can include argumentative formulas for our sayings in addition to its informative and guiding content.

These formulas are divided into: argumentative factors and links, and both of them have a fundamental role in developing the learner's competence that goes beyond his linguistic competence limited only to grammatical and phonetic sentences only without employing them in their appropriate usage context, and then possessing this The individual is a set of abilities that allow him to form communicative relationships with others, even in an unexpected situation, and thus trains through his learning and uses of linguistic pilgrims to control his abilities and knowledge that confront him, and from him he possesses flexibility and skill in persuasion and influencing others to achieve success in the communicative process,orbital staircase staff .

Keywords: pilgrims; communicative competence; orbital staircases; linguistic tools; the learner.

مقدّمة :

يكتسي الخطاب أهمية كبيرة في الدرس اللغوي سواء أكان شفويا أو مكتوبا، والخطاب الحجاجي موظف فيه باستمرار بحيث يعد الركيزة الأساسيّة في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلِم والمتلقي، إذ نجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع والتحاور، ويعدّ الحجاج من بين أهم القضايا والنظريات التي تهتم بها التداوليّة إلى جانب نظرية التلفظ وأفعال الكلام، وبهدف التعرف على الآليات الحجاجيّة الموظفة في مختلف النّصوص الأدبية اخترنا نصا بعنوان: "**فضل العلم**" مبرمج للسنة الرابعة متوسّط ، وهو موجه إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه، وسنجتهد في البحث عن شروط التداول اللغوي "كالإقناعيّة" والتي يقصد بها استخدام المرسل لأساليب حجاجيّة في عرض أفكاره من توجهات تعبيريّة تحمل في طياتها أفعالا لغويّة وسلالم حجاجيّة، وعوامل وروابط حجاجيّة ،فغالبا ما تكون الاستراتيجيّة الإقناعيّة حاضرة في خطاباتنا اليوميّة، وكذلك خطاباتنا التعليميّة التربويّة، بحيث يكون تأثيرها التداولي في المتعلم أقوى، وتحقق نتائج تربويّة في إحداث التأثير فيه بطريقة استدلاليّة دون إكراه، ومنه ينمي الكفاءة التواصليّة عنده، وستحاول الدراسة أيضا الكشف عن الآليات الحجاجيّة اللغويّة عند ديكرو والذي ركز على التوجيه باعتباره الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيه، ومن هذا كله نطرح الإشكال الآتي:

فما هو الحجاج اللغوي ودوره في تنمية الكفاءة التواصليّة لدى متعلمي السنة الرابعة متوسط ؟

وانجر عن هذا الاشكال تساؤلات فرعيّة تمثلت في:

- ما مفهوم الحجة والحجاج اللغوي عند ديكرو؟
- ما مفهوم الكفاءة التواصليّة للمتعلّم؟
- ما هي مرتكزات النظريّة الحجاجيّة اللغويّة وفعاليتها في التأثير في المتعلم؟
- هل تحقق السلالم والآليات الحجاجيّة كفاءة تواصليّة للمتعلم بالسنة الرابعة متوسط؟

وقد استهدفت الدراسة ما يأتي:

_ التعرف على نظرية الحجاج واستثمارها في تحليل النصوص وتوجيه دلالتها.

_ إدراك أهمية الحجاج اللغوي في تنمية الكفاءة التواصليّة لمتعلمي اللغة العربيّة بالطور المتوسط.

_ إبراز الدلالات التداوليّة في أبنية اللغة من خلال العوامل والروابط الحجاجيّة والأفعال اللغويّة في نّص فضل العلم.

أولا- مصطلحات ومفاهيم أساسية في الدراسة:

أ- مفهوم الحجّة والحجاج :

لغة : تشير لفظة الحجّة والحجّاج في مدلولهما اللغوي إلى مدلولات كثيرة منها:

- ✓ وردت في القرآن الكريم في عدّة مواضع من بينها في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} [البقرة :258] : بمعنى جادل، حجاج النمرود لإبراهيم عليه السلام ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله[1]، معنى حاجّ خاصم ،وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة ، والأغلب أنه يفيد الخصام بباطل"[2].
- ✓ معجم ابن فارس مقاييس اللغة: نجده قد أرجع الحجاج لأربعة أصول من جذر لغوي واحد الحاء والجيم، وأول الأصل هو القصد وكل قصد حج ثم اختص الاسم بالبيت الحرام فسمي حجا، والأصل الآخر الحِجَة هي السنة، والأصل الثالث الحِجاج وهو العظم المستدير الذي يحيط بالعين، وأما الأصل الرابع فهو الحَجْحَجَة بمعنى النكوص"[3].

- ورد في لسان العرب المعنى اللغوي للحجاج إذ "يقال حججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وهو رجل محاجج: أي جدل، وفي الحديث/ فحج آدم موسى: أي غلبه بالحجة"[4].

ومنه نلاحظ أنّ الحجّة يراد بها البرهان أو الدليل الذي يدفع به الخصم، أما الحجّاج فتدل على التخاصم بالحجة، وفي معاجم أخرى تدل على استعمال الحجج في الإثبات أو الاعتراض.

اصطلاحا: وفي التعريف الاصطلاحي للحجاج فقد تعددت التعريفات من بينها:

- تعريف أبو هلال العسكري الذي يقول فيه :"الحجّة هي الاستقامة في النظر والمضي على سنن مستقيم من رد الفعل إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجّة وهي الطريق المستقيم"[5].
- أما الشريف الجرجاني " فالحجّة والدليل واحد"[6]، يفهم من هذا القول أن الحجة تدل على البرهان والإثبات.
- أما الحجاج عند العرب المعاصرين، فمن بينهم تعريف "طه عبد الرحمان" : "أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[7]، فهذا التعريف مبني على أساس وجود نية الادعاء عند المتكلم ونية الاعتراض لدى المتلقي.

ومنه فالحجاج يقصد به الحجة والبرهان الذي تقنع به غيرك، والذي يؤدي به إلى الطريق المستقيم.

ب_ الحجاج عند ديكرو(O. Dicro):

إذا كان "بيرلمان" (Birlman) قد ربط الحجاج بالإقناع الذي يعد غاية العملية الحجاجيّة، فإن "ميشال ماير" (M Mayer) قد عرّفه بكونه جهد إقناعي إفحامي، وفي مقابل هذا يجدر بالبحث التركيز على اللساني واللغوي الفرنسي "أزفالد ديكر" وصاحب النظرية الحجاجيّة التي تهتم بالوسائل اللغويّة التي يستخدمها المتكلم في خطاب ما، والتوقف عند مؤلفاته لاسيما (كتابه الحِجاج في اللغة) الذي شاركت في تأليفه "جان كلود أنسكمبر"(Anscombro Jean claud)، وفيه تحدث عن حجاج مختلف عن الحجاج عند برلمان، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها، بينما عرف برلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون بنسبة منطقية أو شكلية أو رياضية ،"فهو دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "[8].

وعليه "فقد بين ديكرو وأنسكمبر أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر أي؛ وأنّ المتكلم إنّما يجعل قولا ما حجة لقول آخر وهو بلغة الحجاج النتيجة يروم إقناع المتلقي، وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني، بمعنى آخر أنّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب.

و"من المهم الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية ديكرو الحجاجية وهو التوجيه (L'orientation) إذ اعتبر أنّ غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن المخاطب أن يسير فيها"[9].

ويستند الحجاج لمعايير تجعل من الكلام مقنعا، ولو لم يكن صائبا نحويا، وهذه المعايير هي: السلالم الحجاجيّة، أفعال الكلام، الأدوات اللغويّة[10].

ج_ **الكفاءة التواصليّة**: يصطلح عليها اللسانيون بالقدرة التواصليّة، فمفهومها لا يقتصر على معرفة النسق اللغوي فقط، وإنّما يتجاوز ذلك معرفة كيفية استعمال اللغة في السياق الاجتماعي، يعرّف هايمز (D. Haymz) الكفاءة التواصليّة: "قدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصاليّة المختلفة، لا جمل نحويّة فقط"[11]، فعلى الفرد أن يعرف بالتحديد "متى يتكلم؟ ومتى لا ينبغي له أن يتكلم؟ وماذا يتكلم حوله ؟ ومع من ينبغي له التحدث؟ ومتى ؟ وأين ؟ وبأي طريقة كان أسلوبه الجديد ؟"[12].

"ومن هنا يجدر الإشارة إلى مصطلح القدرة الاتصاليّة الذي استعمله العالم اللغوي الاجتماعي "ديل هايمز"حين رأى فكرة تشومسكي عن القدرة محدودة غير شاملة ، فالقدرة الاتصاليّة هي ذلك العنصر الذي نستطيع به أن ننقل الرسائل ،ونفسرها ،ونتفاوض مع الآخرين في سياقات محددة...، وقد فرّق "جيمس كمبنز" (Gemmes kempans) بين القدرة اللغويّة المعرفيّة الأكاديميّة، والمهارات الأساسيّة في الاتصال بين الأفراد، أما الأولى فتمثل بعدا واحدا من القدرة يعالج فيها المتعلّم الظواهر السطحيّة للغة خارج سياق الاتصال المباشر، وهذا ما يؤديه من التدريبات والاختبارات داخل قاعة الدرس، وأما الثانية فتلك القدرة الاتصاليّة التي يكتسبها الأطفال مما يجعلهم يمارسون الاتصال اليومي داخل المجتمع، ثم عدّل "كمبنز" فكرته فسمى الأولى "الاتصال في سياق مصغر"والثانية "الاتصال الذي يشتمله سياق"[13]

د_أنواع الكفاءات التواصليّة :

ميزا "مايكل كانال" (Michel kanal) و"ميريل سوين" (Merel Swen) أربع كفاءات تواصليّة وهي[14]:

_ الكفاءة النحويّة: وهي تشتمل على المعرفة بالوحدات المعجمية وقواعد الصرف، والتراكيب ودلالة الجملة ، والأصوات.

_ الكفاءة الخطابيّة: أي القدرة على ربط الجمل لتكوين خطاب ،وتشكيل تراكيب ذات معنى.

_ الكفاءة الاجتماعيّة: أي معرفة القواعد الاجتماعية والثقافيّة للغة والخطاب، وهي تقتضي فهم السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه اللغة، وأدوار وأطراف الخطاب، والمعلومات المشتركة بينهم، ووظيفة الخطاب.

_ الكفاءة الاستراتيجيّة: وتعني توظيف استراتيجيات لغوية وغير لغويّة لنعوض النقص الذي ينشأ عن متغيرات الأداء، أو عدم توافر القدرة كعدم التركيز أو المرض، فالمتحدث البليغ يتمتع بقدرة استراتيجيّة مصقولة جدا.

لذا وجب على المعلم أن يتمتع بهذه الكفاءات وخاصة الاستراتيجيّة التي تخرجه من موقف محرج مع متعلميه، وبذلك يجد الحل الآني لتغيير مسار خطابه ليصل إلى هدفه المنشود، وإذا تمتع المعلم بهذه الكفاءة سيقتدي المتعلمون به، ويختارون استراتيجيات بديلة لتعبر عن مقاصدهم في مواقف حياتيّة مناسبة .

لذلك على المتعلّم أن يختار الإستراتيجية المناسبة لتحقق هدفه، ومن بين أهم الاستراتيجيات ما يأتي[15]:

_ **الاستراتيجيّة التضامنيّة**: وتتمثل في العلاقة التي يحاول المرسِل تجسيدها مع الآخر، وعادة ما تتحقق بأسماء الإشارة وأسلوب الالتفات.

_ **الاستراتيجيات التوجيهيّة**: وتتمثل في الأوامر والدعاء والنهي والنداء، وهي أفعال إنشائيّة ومن محاور الدرس التواصلي.

_ **الاستراتيجيّة التلميحيّة**: وفيها يعمد المرسِل توصيل رسالته من غير طريق التصريح المباشر ، بل يختار طريقا آخر هو التضمين أو الاقتضاء .

_ **الاستراتيجيّة الحجاجيّة**: ويستخدمها المرسِل للإذعان أو للإقناع حينما يريد إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي ، فالمتعلّم يختار هذه الاستراتيجيّة ليقنع زميله برأيه وخاصة في المواقف الحواريّة لمواضيع ذات طابع حجاجي فهو يحاول بذلك تغيير فكر المتلقي باختيار الحجج والبراهين والأدلة الدامغة للإثبات صحة رأيه .

ثانيا _التحليل التطبيقي لنّص "فضل العلم" في كتاب اللغة العربيّة لمستوى الرابعة من التعليم المتوسّط:

إنّ الحجاج حاضر في الشّعر حضوره في النثر على حد سواء كونه خطابا يهدف إلى إقناع المتلقي، وتوجيه سلوكه ومواقفه الحياتيّة بشتى الوسائل والأساليب، خاصة وأنّه يخاطب العاطفة، ويحرك الوجدان، وفي البحث سنكشف خفايا بنية الحجاج التي يرمي إليها الشاعر من خلال الآليات والأفعال اللغوية المنجزة، ويستثمر ما تعلّمه المتعلّم في مواقف مناسبة.

1_ **المدونة** : **فضل العلم**، للإمام "أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان"[16].

_العلم أبقى لأهل العلم آثاراً يريك أشخاصهم رَوحا وإبكاراً
_حيٌ وإن مات ذو علم وذو وَرَعٍ ما مات عبدٌ قضى من ذاك أوطارا
_ العلم درٌ له فضل ولا أحد في الناس يحصي لذاك الدر مقدارا
_ للعلم فضل على الأعمال قاطبةً عن النبي رُوينا فيه أخبارا
_ يقول طالب علم بات ليلته في العلم أعظم عند الله أخطارا
_من عابدٍ سنة لله مجتهدا صام النهار وأحيا الليل أسهارا
_أُشدد إلى العلم رَحلاً فوق راحلةٍ وصِل إلى العلم في الآفاق أسفارا
_ واصبر على دَلجِ الأغساق معتسفاً مهامه العرض أحزانا وأقطارا
_حتى تــزور رجالا فــي رحالهم فضلا، فأكرم بأهل العلم زُوّارَا
_ والطف بمن أنت منه العلمَ مقتبسٌ جدّد له كل يومٍ منك إبرارا
_ ولا تكن جامعا للصّحف تخزنها كالعير يحمل بين العير أسفارا
_ نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه لنفسك اليوم إن أحسنت آثارا

2_ **عناصر العملية الحجاجيّة**: إنّ التواصل عملية تتم بين مرسِل ومرسَل إليه تحتاج إلى عناصر للقيام بها ولتحقيق التواصل، بالإضافة إلى عناصر مساعدة متولدة كالرسائل والأصوات، أي ما يقوم بوظيفة النقل بفعل الفاعل ألا وهو (المرسِل)، وبهذا فإنّ التواصل سواء أكان حجاجيا أم لا، لابد له من توافر العوامل التالية لتحقيقه:

أ_ إنسان مرسِل ب_ إنسان متلفِظ ج _إقامة الاتّصال بين المرسِل والمتلقي د_ لغة مشتركة هـ_ مرسَلة لغويّة و_ محتوى لغوي[17].

ويمكن تمثيل مخطط التواصل الحجاجي كما يأتي :

شكل 1:مخطط التواصل الحجاجي

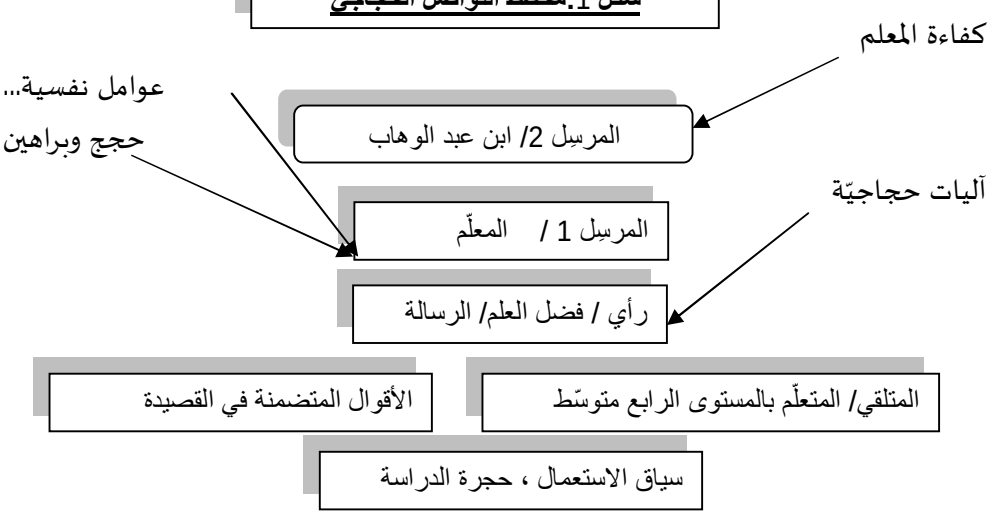

سياق ثقافي / سياق اجتماعي مؤثرات داخلية/مؤثرات خارجيّة

3_ خصائص العملية التواصليّة الحجاجيّة:

أ_ المرسِل (المتكلّم) ودوره في بناء الخطاب الحجاجي: وهو الذي يرسل ويبث الرسالة الخطابيّة عن قصد واعتقاد منه، فاهتم علماء اللغة والبلاغة به، لأنه قارئ القرآن وخطيب الأمة وشاعر القوم، وهم بحاجة إلى لسان فصيح بيّن مؤثر في المتلقي، فالعيوب الكلاميّة تعيق عملية التواصل، وكذلك المعلّم هنا مؤدي هذه الرسالة عليه تفادي العيوب النطقيّة ليقنع متعلّمه بفحوى الخطاب، كما أن لظروف الإنجاز دورا مهما وفعالا في بناء الخطاب الإقناعي[18].

ب- المرسَل إليه(المستمع/المتعلم): ولابد للمتعلّم أن يسهم في نجاح العمليّة التواصليّة، بإصغائه الحسن وتدخلاته في إعانة المتكلم لتوضيح مقصديته "فنشاط القائل على قدر فهم السامع"[19]، فهو الحاكم على الرسالة اللغويّة من حيث مستواها الفني، لذلك وجب على المعلّم ليحقق الكفاءة التواصليّة لدى متعلّمه أن يراعي الوقت المناسب، والفروق الفرديّة بين تلاميذه، والمزاج النفسي والحالة الاجتماعيّة، والظروف المحيطة بالسياق المقامي الداخلي والخارجي للمتعلّم.

ج_ الرسالة والسياق المقامي: تتعدد الرسائل حسب طبيعة الرسالة الموجهة في شكل نصوص للمتعلّم، فهناك النّص الخبري والنّص التحليلي والتوجيهي ونّص الرأي والدراسة والنّص

الحجاجي[20]، والنّص الشعري محلّ الدراسة يتضمن خصائص النّص الخبري كون هدفه الأساسي الإعلام والإخبار والتنبيه؛ فالشاعر يبين من خلال القصيدة ويعلم المتلقي فضل العلم والعلماء ومكانته السامية، كما يحمل في طياته خصائص النّص التوجيهي، لأنّه ينصح ويوجه عن طريق أفعال الأمر والأساليب الإنشائية المختلفة بضرورة السعي والسفر والصبر على تحمل مشقات طلب العلم، ويحمل كذلك في ثناياه خصائص النّص الحجاجي لحرصه على إقناع المتلقي والتأثير فيه بواسطة أدوات حجاجيّة مختلفة كما سيوضحها البحث.

4_ **السلم الحجاجي** : تنطق نظرية السلالم الحجاجيّة من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) ونتيجته (ن)، ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلّم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنيّة[21]، ويشتمل السلم الحجاجي قسما حجاجيا.

5_ **القسم الحجاجي**: أقرّ ديكرو بوجوب الوقوف عند مفهوم "القسم الحجاجي" لكونه مصطلحا مركزيا، وعنصرا مهما في نظرية السلالم الحجاجيّة، وقد اصطلح عليه بالاختصار (CA)، ويعرفه قائلا :"إنّ المتكلم في وضعية خطاب محددة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد، يفضي إلى نتيجة (ن)، فالقسم الحجاجي إذن أن يقدم المتكلم قولين ق1،ق2 معتبرا أنهما حجتان لفائدة النتيجة [22].

فالقسم الحجاجي في قصيدة "فضل العلم" مجموعة من الملفوظات التي تأخذ محل (ق1) في المعادلة الحجاجيّة، وتقود هذه المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تثبتها وتؤكدها والمتمثلة في ضرورة طلب العلم وإجلال العلماء، وفيما يأتي نعرض السلم الحجاجي للقصيدة :

النتيجة "ن" فضل طلب العلم

القسم الحجاجي

ق5 الصبر على الظلام والأرض المقفرة في طلب العلم

ق4 السفر من أجل العلم

ق3 السهر في طلب العلم أفضل من عبادة سنة كاملة

ق 2 العلم أفضل الأعمال

ق1 العلم درّ لا أحد يعرف قيمته

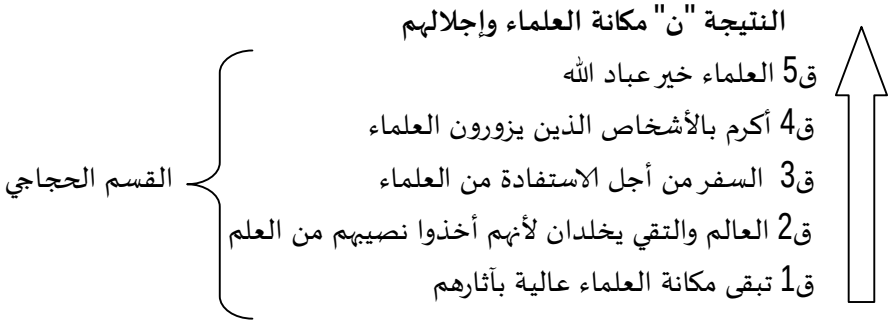

شكل 2: السلم الحجاجي لقصيدة "فضل العلماء"

5_ الروابط والعوامل الحجاجيّة :

لما كانت للغة وظيفة حجاجيّة، وكانت التسلسلات الخطابيّة محددة بواسطة بنية الأقوال اللغويّة والعناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأنّ...[23].

فالحجاج يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة: التأثير والإقناع والحوار، فالنّص الذي سيتناوله البحث حجاجيا بدرجة أولى، نلحظ بجلاء أنّ كاتبه يهدف إلى إقناع المتلقي بموضوع العلم وفضله على النّاس من خلال آليات حجاجيّة مستعملة، تتمثل في العوامل والروابط الحجاجيّة، وينبغي التمييز حسب ديكرو بين الروابط والعوامل الحجاجيّة، "فأما الروابط هي التي تربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي، وأما العوامل فما يكون داخل القول الواحد من نفي وحصر وغيرها"[24]

وفيما يأتي بعض من الآليات الحجاجيّة المستعملة في نص فضل العلم، مع الأفعال اللغويّة المتضمنة في الأقوال المدرجة في القصيدة بقصديتها المختلفة، وتوجهاتها التعبيريّة الخطابية المختلفة:

6_ مرتكزات النظريّة الحجاجيّة اللغويّة وفعاليتها في تنمية الكفاءة التواصليّة لمتعلم اللغة العربيّة :

إنّ المعلّم أثناء تقديم الخطاب الشعري هذا قد يصرّح بالنتيجة وقد يخفيها، فيكون على المتعلّم استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة، بل اعتمادا على بنيتها اللغويّة فحسب، فالوظيفة الإخبارية ثانوية والحجاجيّة هي الأساس، ومن المهم في نظرية ديكرو هو التوجيه، إذ اعتبر غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطَب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطِب أن يسير فيها، وبحسب المدونة وجب إقناعه بضرورة طلب العلم واحترام العلماء مهما كلفنا من مشاق ومتاعب[25].

7- التوجيه الحجاجي :

إنّ العملية التخاطبية تقوم على أساس التفاعل بين الذوات المتخاطبة في سياقات مختلفة تتحقق من خلالها أفعال إنجازيّة، ويندرج فعل التوجيه بالعادة ضمن نوع من الأفعال اللغويّة التي صاغها "سورل" (Searle)، واصطلح عليها بالأفعال التوجيهيّة، فيستعين بآليات مختلفة منها: أساليب الأمر، النهي، التحذير، الإغراء بالاستناد إلى دور السياق والمقام[26]، ومن خلال النّص نستخرج بعض الموجهات التعبيريّة بأشكالها اللغويّة المختلفة:

الموجهات التعبيريّة	أشكالها اللغويّة
الإخبار	العلم أبقى لأهل العلم آثارا / العلم درّله فضل
الشرط	إن مات ذو علم وذو ورع /إن أحسنت آثارا
الأمر	أُشدد إلى العلم رحلا/ صل إلى العلم في الآفاق أسفارا
الغائيّة	حتى تزور رجالا في رحالهم فضلا
النهي	لا تكن جامعا للصّحف تخزنها
النّفي	ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
التحقيق والإثبات	إنّ له لطفا خفيا يرد ـ العسر أيسارا

إنّ تأثير هذه الموجّهات التعبيريّة وأشكالها اللغويّة بسياقها المقامي والتي يهدف إليها الشاعر ليحصل الإقناع عن طريق التدرج من التمهيد إلى التوجيه، فالشاعر افتتح قصيدته بالإخبار عن بقاء أهل العلم موظفا صيغة" أفعل" للدلالة على أفضلية العلماء واحترام وتقدير النّاس لهم، ونيل المكانة السامية عند الله عزّ وجل، بقصدية التأثير على المتلقي لتغيير نظرته ومعتقداته، فالمتعلّم في هذا السّن لا يولي اهتماما للعلم والمعتقدات والمؤثرات الخارجيّة التي

تؤثر على اهتمامه بالدراسة وطلب العلم، لذا جاءت هذه الأبيات بآلياتها المختلفة محاولة التأثير في المتلقي.

- **النهي**: وهو من الأفعال الإنجازية التوجيهيّة، فالفعل اللغوي "لا تكن جامعا للصحف تخزنها" هو حجة تحمل نتيجة ضمنية مفادها "تعلّم من الكتب واستفد منها"، فالمعلّم عندما يقرأ هذا البيت يهدف من خلال هذا النهي السيطرة على ذهن متعلّمه، فالخطاب الموجه إليه بطريقة عكسيّة سيقنع المتعلّم بأسلوب جديد يجعله يفهم المقصد من هذا التلفظ، أي لا تخزن الصحف وتجمعها دون أن تقرأ وتطالع وتتعلم منها، ثم مثله بالعير الذي يحمل أمتعة ويثقل بها على نفسه دون فائدة، لتكون الدلالة أقوى من خلال التمثيل .
- **الشّرط** : إنّ أسلوب الشرط بالبيت الثاني يعتبر فعلا إنجازيا يحمل معنى عكسيا لما ورد في البيت، إن مات ذو علم وذو ورع ؛ فالمعنى العكسي هو أن العالم والتقي يخلدان بفضل المكانة التي ارتقوا إليها ويتضح من خلال جواب الشّرط "ما مات عبد قضى من ذاك أوطار" فالمتعلّم من خلال هذا البيت يتعلم ويدرك أهمية بقاء صاحب العلم والتقي ورفعة مكانتهما، وكرر كلمة الموت للدلالة على تأكيد المعنى بالتكرار نظرا لأهمية هذا التلفظ، فعكس الموت البقاء والحياة.
- **التوجيه الإثباتي** : يفيد هذا التوجيه التأكيد على فكرة ما مستخدما أدوات التأكيد، فقد استعمل الشاعر الأداة "إنّ" في قوله: "إنّ له لطفا خفيا يردّ العسر أيسارا"، فالجملة تؤكد الجملة التي قبلها والتي مفادها خير العباد عباد الله، فهذا التأكيد يُفرض على المتلقي، ويرد إنكار المتلقي، ودفع الشك وبالتالي يقوم بوظيفة حجاجيّة قويّة مثبتة غير منفية.
- **التوجيه الإلزامي**: وصيغته اللغويّة الأمر، ويعتبر فعلا إنجازيا لكنّه ضمني، ويستمد طاقته الإقناعيّة من شخصية الآمر "المعلم"، حيث يكون الأمر مؤهلا لتوجيه الأوامر من خلال أقوال الشاعر:

<u>أُشددْ</u> إلى العلم رحلا فوق راحلة <u>وصلْ</u> إلى العلم في الآفاق أسفارا

فالأمر هنا مفاده ضرورة السفر وشدّ الرحال من أجل طلب العلم، وبهذا التوجيه الإثباتي يقنع المتعلّم إلى ضرورة طلب العلم وشدّ الرحال مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنّة"، خاصة إذا استخدم المعلم نبرات صوتيّة وإيماءات مع تعابير الوجه المختلفة، لتؤثر في المتعلّم ومن ثم يتفاعل معها

ويطبقها في حياته العلمية والعملية مستقبلا، فلا يتردد في طلب العلم ولو كلفه السفر والتعب والمشقة من أجله.

- **التوجيه بالربط والإحالة**: تعدّ الإحالة من أهم الأدوات اللسانيّة التي تحقق ترابطا بين بنيات الحجاج، وتتمثل وظيفتها في الإشارة داخل النّص أو خارجه، مما يجعلها وسيلة تأثير في المتعلّم، بداية بالعنوان "فضل العلم" فهو إحالة نصيّة بعديّة، يحيل إلى أي كتابات أو مقالات كتبها الشاعر وعناوينها المختلفة في سياقها المناسب، والإحالة بضمائر الغائب (هو، هي، هم، ها...) مثال ذلك: (أشخاصهم، ليلته، رحالهم، تخزنها، تورثه،...) التي تحيل إلى شيء داخل النص، وتدفع المتعلم للبحث في النّص عما يعود إليه الضمير، أما الإحالة بضمائر المخاطب فهي كثيرة من بينها (يريك، أنت، منك، لنفسك، أحسنت...)، هذه الروابط جعلت الأبيات متماسكة و القصيدة متلاحمة.

وتبدى الربط الإحالي باسم الإشارة للقريب (ذا، لذاك)، فقد تكررت في البيتين الثاني والثالث، وهي إحالة قبليّة قريبة للدلالة عن العلم وعن كونه درّ نفيس له فضل كبير، قامت بالربط القبلي باللاحق مما ساهم في انسجام القصيدة.

- **الرابط الحجاجي** بأدوات العطف: حرف عطف "الواو" من أهم الروابط الحجاجيّة ولا تقتصر وظيفته على الجمع بين قضيتين فحسب، بل يستعمل بوصفه رابطا عاطفيا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، وتماسكها وتقويتها لتحقيق النتيجة المرجوة، ويتبين عمل رابط الواو في النّص الشعري لهذه القصيدة فيما يأتي: روحا وأبكارا، فالرابط هنا يعطف أبكارا مع كلمة روْحا أي الرجوع بعد الغروب، فالنتيجة المتوصل إليها أنّ العلم باق لأهل العلم، يبين قيمة العلماء ودوام فضلهم وأنّ لا أحد يقدّر قيمة العلم والعلماء.

إنّ دور المعلّم الكفء في أن يكون قدوة أولا في أفعاله وتصرفاته أمام تلاميذه خاصة في هذه المرحلة الحرجة بالذات "الطور المتوسّط" ليتسنى لهم التأثر به في إلقائه الدرس، ويستطيع إقناعهم نظرا لحبهم له، مستعملا نبرات صوتيّة، وحركات مناسبة لمقام القصيدة، مع قوة القول وفعله في جل الملفوظات كي تكون القصيدة مقنعة ويتأثر بها هذا المتعلّم، ليتسنى له توجيه غيره في سياق مقامي، ويختار الاستراتيجيّة الخطابيّة المناسبة سواء أكانت تلميحيّة أم أو توجيهيّة أو تضامنيّة أم حجاجيّة ، و بذلك يغير وجهة نظر محاوره فيقنعه ويسكته.

خاتمة:

بعد الجولان في هذه المدونة الشعرية والتي ظهر الحجاج فيها بمعان مختلفة، بيد أن غاياتها واحدة وهي محاولة التأثير والإقناع والوصول بالمتكلم لمبتغاه، وفي ختام البحث فقد تم الوصول إلى النتائج الآتية:

_ الحجاج اللغوي عند ديكرو يعطي أهمية للمكونات اللغويّة التي تعطي قيمة حجاجيّة بواسطة العوامل والروابط الحجاجيّة .

_ يستند الحجاج على معايير ليكسب قوته الإقناعيّة من بينها: السلالم الحجاجيّة، الأفعال اللغويّة، والأدوات اللغويّة، تهدف إلى تنمية كفاءة المتعلّم التواصليّة.

_ قصيدة "فضل العلم " لابن عبد الوهاب تحمل في طياتها آليات حجاجيّة متنوعة، تهدف إلى إقناع المتعلّم بضرورة طلب العلم واحترام العلماء، فالحجاج حاضر بقوة في الشعر مثلما نجده في النثر.

_ تتميز العملية التواصليّة بخصائص عديدة تخص كل من المرسِل والمتلقي والرسالة في سياق مقامي معين، وبمؤثرات وعوامل داخلية وخارجيّة تؤثر في إقناع المتعلّم بهذا الطور بالذات.

_ يختار متعلم اللغة العربيّة الكفاءة الاستراتيجيّة المناسبة في موقف حياتي معين ، بعد تمكنه من تنمية كفاءته التواصليّة مع معلمه في القسم .

_ العيوب النطقيّة للمرسل تعيق عملية التواصل الفعّالة بين المرسِل والمتلقي .

_ المتعلّم له دور كبير في نجاح عملية التواصل بإصغائه الجيّد ،وتدخلاته في توضيح مقاصد المتكلّم، أما المعلّم فعليه مراعاة الفروق الفرديّة، وتنظيم الوقت، ومعرف الحالة النفسية والاجتماعيّة التي يعيشها تلاميذه ليستغلها في عملية الإقناع .

_ اعتمد الشاعر على سلمين حجاجيين للقصيدة تتفاوت فيهما المقولات والحجج حسب أهميتها يتخللهما القسم الحجاجي لكل سلم ،وعلى عوامل وروابط حجاجيّة منها حروف العطف بكثرة .

_ لجأ الشاعر إلى الأفعال اللغوية كالأمر والنهي، وهي كثيرا ما توجه القول حجاجيا عن طريق موجهات تعبيريّة مختلفة ، تهدف إلى التأثير في المتعلّم .

_وظّف الشاعر العديد من الروابط اللغويّة والإحالات التي تتدخل بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة في توجيه الخطاب الحجاجي من خلال إحداث الانسجام داخل قصيدة "فضل العلم"، عبر استمالة المتعلّم وتوجيهه نحو المقصد الذي يسعى إليه المتكلّم لإقناعه .

_ غاية الخطاب الحجاجي في المدونة الإقناع بصورة أوليّة والإخبار بصورة ثانوية حسب نص" فضل العلم"، لذلك على المعلم ذو الكفاءة المهنية أن يوظّف الحجج والآليات اللغويّة المناسبة لكل نّص بما يتناسب مع خصائص تلاميذه النفسيّة والاجتماعيّة والمؤثرات المختلفة بهدف توجيههم إلى السلوك السوي وإقناعهم بالكفاءة المستهدفة .

قائمة المصادر والمراجع:

*** الكتب:**

- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.

- عبد الله صولة ، ألحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 2007.

- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، دمشق، 1979.

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان،، ج2، ط2.

- أبو هلال العسكري، الفروق اللغويّة، تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، مصر، دت.

- الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.

- فرانسوز أرمنيك، المقاربة التداوليّة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986.

- دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي وآخرون، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1994 .

- أحسن الصيد وآخرون، اللغة العربية؛ السنة الرابعة من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، منشورات الشهاب، الجزائر، دط، 2019.

- سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011.

- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، سلسلة: آداب، كلية الآداب، منوبة، تونس، دت.

- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1، 2006.

***المجلات والدوريات:**

- حيدرة رشيد، الأدوات اللغويّة ودورها في تأصيل حجاجيّة الخطاب النّحوي، إشراف إبراهيم بلقاسم، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم ، الجزائر /مج 11، ع1، 2019.

- شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، إشراف حفيظة روابنية، مجلة التعليميّة، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر/مج 5،ع 15، 2018.

*** الأطروحات والرسائل والمذكرات:**

- الضاوية مخلوفي، آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرفاعي الجزء الأول أنموذجا، مذكرة ماستر مخطوطة، إشراف: إبراهيم أيدير، تخصص لسانيات النص ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،2017.

- إيمان درنوني، الحجاج في النّص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجا"، إشراف الجودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، ماجستير مخطوطة، تخصص علوم اللسان، 2013/2012 .

- عيسى بربار، البعد التداولي في العملية التواصليّة؛ شعر الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجا، أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوطة، إشراف: محمد ملياني، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2016/2015 .

- فوزية زيار، البنية الحجاجيّة في شعر عزالدين ميهوبي، أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوط، إشراف : عبد الحليم بن عيسى، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2019/2018.

- لعرباوي نورية، آليات الحجاج في الخطاب السياسي؛ الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجا، أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوطة، إشراف: مفلاح بن عبد الله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2018/2017.

الهوامش والإحالات:

[1] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ج1، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص 112.

[2] عبد الله صولة، ألحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007، ص11.

[3] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، دمشق، 1979، ص 29، 30 ،31.

[4] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2،ط2، 1997، ص570

[5] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويّة، تحقيق محمد إبراهيم ، دار العلم والثقافة ، مصر، دت ، ص70.

[6] الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص145.

[7] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص226.

[8] شعبان أمقران، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، إشراف حفيظة رواينية، مجلة التعليميّة ، جامعة باجي مختار عنابة ، الجزائر/مج 5،ع 15، 2018، ص224.

[9] الضاوية مخلوفي، آليات الحجاج في كتاب وحي القلم لمصطفى صادق الرفاعي الجزء الأول أنموذجا، مذكرة ماستر مخطوطة، إشراف: إبراهيم أيدير، تخصص لسانيات النص، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،2017، ص19.

[10] حيدرة رشيد، الأدوات اللغويّة ودورها في تأصيل حجاجيّة الخطاب النّحوي، إشراف إبراهيم بلقاسم، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم ، الجزائر /مج 11، ع1، 2019، ص 187.

[11] فرانسوزأرمنيك، المقاربة التداوليّة، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط، 1986، ص5.

[12] فرانسوزأرمنيك، المرجع نفسه، ص5.

[13] دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي وآخرون، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1994، ص 244، 245.

[14] ينظر : دوجلاس براون ، المرجع نفسه ، ص : 245،246 .

[15] ينظر: عيسى بربار ، البعد التداولي في العملية التواصليّة ؛ شعر الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجا ، أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوطة، إشراف: محمد مليّاني ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2016/2015، ص 92.

[16] ابن عبد الوهاب المتوفي سنة(240هـ/845م) هو أبو سعيد الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان ثالث أمراء الدولة الرستميّة تهرت وأطولهم مدة في الحكم (190هـ/240هـ) ضرب في زحمة كل فنّ من فنون العلم، ونبغ في الأدب وترك مجموعة من الخطب والرسائل وقال الشعر أيضا، شعره يغلب عليه الطابع التعليمي، ومما اشتهر من شعره قصيدته في بيان فضل العلم، منها هذه الأبيات المختارة من كتاب الرابعة متوسط؛ أحسن الصيد وآخرون، اللغة العربية؛ السنة الرابعة من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، منشورات الشهاب، الجزائر، دط، 2019، ص102.

[17] إيمان درنوني، الحجاج في النّص القرآني "سورة الأنبياء أنموذجا"،إشراف الجودي مرداسي ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، ماجستير مخطوطة، تخصص علوم اللسان، 2013/2012 ص57.

[18] إيمان درنوني، الحجاج في النّص القرآني، ص 58.

[19] إيمان درنوني، المرجع نفسه، ص 58.

[20] سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011ص24،25.

[21] فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود ، سلسلة : آداب ، كلية الآداب، منوبة ، تونس، دت ، ص 363.

[22] فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم،المرجع نفسه ، ص365.

[23] أبو بكر العزاوي،اللغة والحجاج ،العمدة في الطبع ،ط1، 2006، ص26.

[24] ينظر : فوزية زيار ، البنية الحجاجيّة في شعر عزالدين ميهوبي ،أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوطة، إشراف : عبد الحليم بن عيسى ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2019/2018، ص 113.

[25] ينظر: سامية الدريدي، مرجع سابق ، ص23.

[26] لعرباوي نورية، آليات الحجاج في الخطاب السياسي :الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجا، أطروحة دكتوراه العلوم في اللسانيات مخطوطة، إشراف: مفلاح بن عبد الله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران_1 أحمد بن بلة، الجزائر، موسم: 2018/2017، ص 68.